

## بنو ايلدكز أتابكة أذربيجان

### وعلاقتهم بالقوى المعاصرة

( ٥٤١ - ٦٢٢ هـ = ١١٤٨ - ١٢٢٥ م )

د . مسفر بن سالم الغامدى (\*)

كانت وفاة السلطان السلجوقى ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ايذانا ببروز نظام جديد على مسرح الأحداث فى الشام ، والعراق ، وايران ، وأرمينية ، وأذربيجان (١) . ونعنى بهذا النظام نظام الأتابكيات (٢) الذى أخذ فى التنامى والظهور نتيجة صغر سن بعض أمراء البيت السلجوقى من جهة ، وحرص رجال البيت السلجوقى على ايجاد قائد من القادة العسكريين الكبار يقوم بتربية الأبن أو الأمير السلجوقى الصغير وتلقينه الفنون العسكرية والادارية من جهة أخرى .

---

(\*) أستاذ مساعد التاريخ الاسلامى ورئيس قسم التاريخ بكلية الشريعة - جامعة أم القرى .

(١) أذربيجان : اقليم جبلى واسع بشمال ايران يضم العديد من المدن كتبريز والمرافة وخوى وسلماس وأرمية وأردبيل ومرند وغيرها ، والغالب على أرضها الجبال تكثر بها العسائيه والمياه ، ولغة أهلها اللغة الأذرية . وأقليم أذربيجان فتح زمن الخليفة عمر بن الخطاب عندما كانت أردبيل عاصمتها . وأذربيجان كانت تعرف باسم أذربايجان وبالفارسية تعرف أذربيجان باسم آذربيجان . وقد صحف اليونان هذا الاسم الى *Arropatena* ، وأذربيجان احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى المنحل التى استقلت حديثا وهى مطلة على برفزون . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٩٣ والحاشية رقم ١ بنفس الصفحة ، حسين قاسم عزيز : انتفاضة الشعب الأذربيجانى ضد الخلافة العباسية ، ص ٤٦ ؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٥٧٢ تعليق المحقق يحيى عباره . ولزيد من التفصيل عن أذربيجان انظر صابر دياب ، المسلمون وجهادهم ضد الروم ، ص ٤٦ حاشية رقم ١ .

(٢) أتابك : لقب تركى يتكون من كلمتين ، أتا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير ، انظر ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٤ ، ص ٦٠ وما بعدها .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه الى أن كثيراً من القادة أو الأتابكة كان مجبراً على الزواج من أمهات الأمراء السلاجقة الصغار المطلقات أو الأرامل (٣) .

وأدى هذا الزواج في نهاية الأمر الى وجود علاقة وطيدة بين الأمير وأتابكة ، أشبه ما تكون بين الابن وأبيه ، مما أضفى على نظام الأتابكيات طابعاً خاصاً مميزاً . وعلى الرغم من أن هذا النظام قد سلب سلاطين السلاجقة بعض حقوقهم وهيمنتهم العليا على أجزاء الدولة ، فقد أدى الى المحافظة على كيان دولتهم فترة زمنية طويلة . فالأتابك عماد الدين زنكى ، وابنه نور الدين محمود مثلاً كان لهما الأثر الكبير والواضح فى المحافظة على نفوذ السلاجقة بالشام والجزيرة ، بالإضافة الى الدور الرائد والبارز فى جهاد الصليبيين فى الفترة من العقد الثالث من القرن السادس الهجرى حتى أواخر العقد السابع من القرن السابع الهجرى (٤) . على أنه من المبالغة أن نتصور كافة الأتابكيات وقد لعبت دوراً ذا أهمية فى الحفاظ على هيمنة السلاجقة ، والحفاظ على ثغور المسلمين ، إذ أن بعض هذه الأتابكيات قامت بدور سلبي أدى الى اضعاف جانب السلاجقة ، فضلاً عن اضعاف الخلافة العباسية نفسها .

وإذا ما ألقينا نظرة على أتابكية أذربيجان بزعامة بنى ايلدكز ( سنة ٥٤١ - ٦٢٢هـ / ١١٤٨ - ١٢٢٥م ) فإنه يتضح أن هذه الأتابكية وبخاصة فى عهد زعمائها الكبار ، تدخل فى قائمة القوى التى عملت بجد واخلاص لا فى الحفاظ على كيان السلاجقة فحسب ، بل أيضاً فى جهاد الكرج الجورجان (٥) ثم المغول (٦) فيما بعد . ذلك أن زعماء هذه

(٣) - على الغامدى : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص ٢١٠ .

(٤) للمزيد من الدراسة عن عماد الدين زنكى ونور الدين محمود انظر : عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ، عليه الجنزورى : عماد الدين زنكى ، عماد الدين خليل : نور الدين محمود الرجل والتجربة ؛ مسعر الغامدى ، جهاد ضد الصليبيين قبل قيام الدولة الايوبية ؛ محمد الشيخ ، جهاد القدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها .  
(٥) الكرج : عن التعريف بالكرج . انظر فايز نجيب اسكندر ، الكرج والأترك السلاجقة ، مقال فى مجلة المؤرخ العربى ، العدد الأول سنة ١٩٩٣م ، ص ٢٥٢ وما

الأتابكية تمكنوا من فرض سيطرتهم على بعض مدن إيران والجبل واران (٧) ، وكانت لهم علاقات مع القوى الكبيرة في المنطقة ، كالكرج والسلاجقة والعباسيين والخورميين والمغول والزنكيين في الموصل والأيوبيين زمن صلاح الدين (٥٦٩ - ٥٨٩) . وفيما يلي يمكن أن نستعرض تاريخ هذه الأتابكية منذ قيامها وعلاقتها بالقوى المشار إليها أعلاه . بالإضافة الى علاقة زعماء هذه الأتابكية ببعض الامارات الصغيرة في منطقة الجزيرة وأرمينية .

تنسب أتابكية أذربيجان الى مؤسسها شمس الدين ايلدكز (٨) وهو مملوك تركي من ممالك الوزير كمال الدين السميرمي (٩) وزير السلطان

---

بعدها . وقد أشار فايز اسكندر الى ان وفاة السلطان ملكشاه سنة ١٠٩٢/٤٤٨٥م كانت بداية ازدهار مملكة الكرج في عهد ملكهم داود الثاني الذي استغل فيما بعد انشغال المسلمين بجهاد الصليبيين في الشام فرفض دفع الجزية للسلاجقة ، وتمكن فيما بعد من الاستيلاء على تفليس سنة ٥١٦هـ من المسلمين ، (ص ٢٦١ - ٢٦٢) وكذا انظر ، القارفي ، تاريخ ميخارقين ، ص ٩٧ حاشية رقم ٣ .

(٦) عن التعريف بالمغول وتحديد موطنهم الأصلي انظر كتاب سعد الغامدي ، سقوط الدولة العباسية ، ص ٥٣ - ٥٦ .

(٧) الجبل أو الجبال : اسم يطلق على البلاد المعروفة باسم العجم بالعراق وهي ما بين أصبهان الى رنجان وقزوين وهمدان والري . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٩٩ .

واران : إقليم مشهور بأذربيجان وأرمينية وبهذا الاقليم جنزه التي تكتب أحيانا باسم كنجه . انظر ، ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ص ٧٥٣ من جهد المحقق يحيى عباره . ولزيد من التفصيل عن آران ، انظر : محمد شيت خطاب ، أرمينية بلاد الروم ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٨) جاء في بعض المصادر أن لقبه شمس الدين المسعودي نسبة الى السلطان مسعود ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٨ ، ص ٢١ .

(٩) السميرمي : كمال الملك أبو الحسن علي بن أحمد السميرمي ، تولى الوزارة السلطان محمود بن محمد سنة ٥١٣هـ ، وظل بها حتى توفي سنة ٥١٦هـ ، كان كما قيل ظالما مجاهرا بالظلم والفسق ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٢ ، ص ٧٥٧ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ٥٠ ؛ حسين أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٣٣٠ .

محمود بن محمد بن ملكشاه ( ٥١١ - ١١١٧/٥٥٢٥ - ١١٣١م ) ويقال أن ايلدكز هذا اشترى من بلاد القفجاق (١٠) . وبعد مقتل الوزير السميرمي سنة ١١١٢م/٥٥١٦م انتقل شمس الدين ايلدكز الى خدمة السلطان محمود ، ثم من بعده الى السلطان السلجوقي غياث الدين مسعود بن محمود ( ٥٢٧ - ١١٣٢/٥٥٤٧ - ١١٥٢م ) حيث مكث يعمل كـنديم ومضحك للسلطان ، وأخذ يترقى فى بلاطه حتى اكتسب ثقة السلطان وثقة معاصريه فزوجه السلطان مسعود من أرملة أخيه الملك طغرل بن محمود ، وبذلك غدا أتابكا لأرسلان شاه بن طغرل . وكان طغرل قد توفى سنة ١١٥٩م/٥٥٥٤ ( ١١ ) .

أما عن اقليم أذربيجان مركز الأتابكية موضوع دراستنا ، فقد كان محل نزاع بين الكرج الجورجان من جهة وبين السلاجقة وكبار الأمراء الأتابكة من جهة أخرى ، خصوصاً بعد سقوط تفليس بيد الكرج سنة ١١٢٦م/١١٢٢ ( ١٢ ) . وقبل بروز أسرة بنى ايلدكز بأذربيجان كان يحكمها الأمير قرا سنقر الاحمديلى الذى وافاه أجله بمدينة أردبيل ( ١٣ ) . فانتقل الأمر الى الأمير جاولى الطغرلى الذى ظل حاكماً لأذربيجان وبلاد

---

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٧٣ : أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٣٧ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٤ ، ص ٨٧ .

(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٩١ : الاصفهاني ، زبدة التواريخ ، ص ٣٢٠ : أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٢٧ . وكان السلطان مسعود واليا على إقليم الجبل وآران وأذربيجان قبل توليه السلطنة ، ولذلك وجد أن خير من يقوم بهذا الأمر هو الأتابك ايلدكز فعينه واليا عليه .

(١٢) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٧٥٧ . وتفليس : مدينة فى جمهورية جورجيا تقع على خط عرض ٥٢° شمالاً و ٤٤° طولاً وهى بأرمينية الأولى ، والبعض يقول بآران . وهى مدينة أزلية . ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٧٧٢ من عمل المحقق يحيى عباره .

(١٣) أردبيل : إحدى مدن أذربيجان ، كانت عاصمتها عندما فتحها المسلمون زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهى فى أعلى نهر آندراب ، عليها سور ، وبها العديد من الأسواق ، كانت قصبة أذربيجان فى المائة الرابعة . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ، ك ليسرتنج ، بلدان الخلافة ، ص ٢٠٠ - ٢٠٣ .

الجبل حتى وفاته سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م (١٤) . وبوفاة جاولى فى السنة المذكورة تولى الأمر بصورة حقيقية الأتابك شمس الدين ايلدكز . وعلى الرغم من أنه ربيب السلطان مسعود (١٥) فإنه خامر على السلطان فى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م واجتمع بكثير من الأمراء ، وأعلنوا عصيانهم عليه . ولم يكتفوا بالعصيان بل قصدوا بغداد بهدف النيل من الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله ( ٥٣٢ - ٥٥٦هـ/١١٣٦ - ١١٦٠م ) . فلما بلغوا حلوان (١٦) أرسل الخليفة العباسى اليهم من يعظهم ويمنعهم من دخول بغداد ، ولكنهم رفضوا وعاثوا فى البلد فساداً ، وكان بصحبتهم الملك محمد بن محمود السلجوقى (١٧) .

أما السلطان مسعود فقد كان مقيماً عندئذ ببلاد الجبل، ومعه الأمير خاصبك الذى كانت علاقته بايلدكز غير طيبة . وكان الأمير خاصبك من أسباب خروج ايلدكز على السلطان مسعود (١٨) . ولم ترق هذه الحوادث التى ارتكبت فى حق ايلدكز والخليفة العباسى ببغداد للسلطان سنجر كبير البيت السلجوقى ( ٥١١ - ٥٥٢هـ/١١١٧ - ١١٥٧م ) ، ولذلك فإنه نم يحجم عن توجيه عتاب شديد للسلطان مسعود الذى كان قد أنزعج هو الآخر من فعل ايلدكز والملك محمد بن محمود ، وما أحدثوه فى بغداد . وكان أن توجه السلطان مسعود الى بغداد سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م لتطبيب خاطر الخليفة المقتفى لأمر الله . فكان موضع ترحيب، وأحسن الوزير ابن هبيرة استقباله فى رمضان من السنة المذكورة (١٩) .

(١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥ .

(١٥) السلطان مسعود : أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه ، أصبح سلطاناً سنة ٥٢٨هـ وتوفى سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ، ابن نىماني : الجوهر الثمين ، ص ١٦٨ .  
(١٦) حلوان : مدينة على سفح جبل مطل على العراق ، وهى من بلاد الجبل ، تكثر بها أشجار الفواكه بأنواعها . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣١٤ .

(١٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١ - ٢٢ ، ويشير صاحب المنتظم الى أن دخول ايلدكز بغداد إنما كان هرباً من السلطان مسعود . ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٣٢ .

(١٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢١ - ٢٢ .

(١٩) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ ؛ والوزير ابن هبيرة : أبو المظفر

ولم يمكث السلطان مسعود طويلا في بغداد ، بل عاد أدراجه الى همذان . ولكن أجله لم يمهل كثيرا فقد توفي في سنة ١١٥٢م / ٥٤٧هـ وبوفاته أنتهت على ما قيل سعادة البيت السلجوقي في العراق (٢٠) .

وعلى الرغم من أن السلطان مسعود السلجوقي كان مشغولا بالفتن الداخلية، فان الكرج لم يتمكنوا ولم يجرأوا على الاعتداء على بلاده في حياته، ولكنهم استغلوا وفاته فقاموا في سنة ١١٥٤م / ٥٤٩هـ بالهجوم على أرمينية، وتمكنوا من انزال الهزيمة بصاحب آرزروم، وغنموا من المسلمين غنائم كبيرة (٢١) .

وبموت السلطان مسعود سنة ١١٥٢م / ٥٤٧هـ برز الاتابك ايلدكز على مسرح الأحداث في الدولة السلجوقية ، وخصوصاً بين سلاجقة العراق والخلافة العباسية من جهة، والكرج من جهة أخرى . وكان أول معاد برز لأيلدكز في سنة ١١٥٣م / ٥٤٨هـ هو الأمير اياز قفجان أحد أكابر أمراء العجم، اذ استغاث بالزنكيين بالموصل من جور وظلم ايلدكز، فجهزوا معه العساكر ، وسار باتجاه أذربيجان، وحتى وصل الى سلماس (٢٢) حيث والتقوا بايلدكز واصلحوا الحال بينه وبين اياز (٢٣) .

يحيى بن محمد سعيد عون الدين بن هبيوة ، كان عالما باللغة والادب ، والحديث . ولد سنة ١١٢٧م / ٥٢١هـ وتوفي سنة ١١٧٤م / ٥٧٠هـ انظر : مريزن عسيري ، الحياة العلمية في العراق ، ص ٩٦ ، حاشية رقم ١ .

(٢٠) أبو الفدا ، المختصر ، ج٣ ، ص ٢٢٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص ١٤٧ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٢٩ ؛ الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٩٩ .

(٢١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٤٢ ؛ ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٠٥ ، وآرزروم : وقيل آرزن الروم ، هي مدينة جليلة بأرمينية ، وتعرف عند الأرمن باسم **Karin** وعند الروم باسم **Theodosio Polis** كي ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٩ .

(٢٢) سلماس : مدينة بأذربيجان بين تبريز وأرميه ، يوجد فيها مياه معدنية ، انظر : القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٩١ .

(٢٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٦ .

وعندما أخذت قوة ايلدكز تزداد، استغاث به الخليفة العباسي المقتفى لأمر الله في سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م ضد السلطان محمد بن محمود ، فتوجه ايلدكز الى همذان واستولى عليها (٢٤) . وكان لذلك أثره في نفس السلطان محمد بن محمود السلجوقي ، فرفع الحصار عن بغداد، وعاد الى ايران . ولكنه لم يغفر لايلدكز هذا العمل فقام بحملة تأديبية ضده بأران، وتمكن من انزال هزيمة ساحقة به ، تمكن عقبها من الاستيلاء على نخجوان . على أنه قبل اعتذار ايلدكز وأخذ عليه المواثيق والعهود بالألا يعود الى العصيان عليه (٢٥) .

وفي مجال التدخل في شئون السلاجقة والخلافة العباسية ، وجد ايلدكز الفرصة سانحة له بوصفه أتابكاً لربيه السلطان أرسلان شاه بن طغرل للتدخل مباشرة في شئون سلاجقة العراق والخلافة العباسية في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٣م . وكان أن سار من أذربيجان الى همذان بقصد منح سليمان شاه بن محمد السلجوقي من احتواء السلطنة هناك . وقد تمكن ايلدكز وأرسلان من الاستيلاء على همذان واجلاس أرسلان شاه على عرش السلاجقة بالعراق (٢٦) .

وسرعان ما جنى شمس الدين ايلدكز ثمار هذه الخطوة الجريئة ، فقد أصبح أتابكاً لسلطان السلاجقة في ايران والعراق ، وتلقب بلقب «الأتابك الأعظم» (٢٧) ، ويعلق أحد الباحثين على ذلك فيقول ان

---

(٢٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٥١ - ٥٢ ، النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٥ ، ص ٥٨ - ٥٩ ، أبو الفدا المختصر ، ج٢ ، ص ٣٠ .  
(٢٥) الأصفهاني : زبدة التواريخ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ : الراوندي ، راحة الصدور ، ص ٢٨٢ .

ونخجوان أو تفجوان مدينة تقع الى الشمال من نهر فرس من أعمال أذربيجان انظر : كي ليسترنيج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠١ .

(٢٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٩٦ : الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧٨ . وقد أورد هذا الخبر في حوادث سنة ٥٥٦هـ : أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدولة الاسلامية ، ج٢ ، ص ٣٦٣ .

(٢٧) الأصفهاني ، تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٧١ ، ويشير الدكتور حسن الباشا

وظيفة الأتابك الأعظم أرفع قدراً وأوسع نفوذاً من وظيفة الأتابك ، لأنها تهيء لصاحبها أن يشرف على الجيش وأعمال الوزراء (٢٨) .

أما الخليفة العباسي المقتفى لأمر الله فإنه لم ينس تلك الأعمال التي قام بها ايلدكز في العراق سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م ، ولذلك فإنه لم يوافق على اعلان الخطبة في بغداد باسم السلطان أرسلان شاه في السنة التالية ٥٥٦هـ/١١٦١م . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ان رسول ايلدكز الى الخلافة أهين « وأعيد اليه على أقبح حلة » (٢٩) .

ولما كان اعلان السلطنة في بغداد باسم أحد امراء البيت السلجوقي يعتمد على نفوذ هذا الأمير أو ذاك ، أو على ما يدفع لبطانة الخليفة وأصحاب النفوذ عليه ، فان أرسلان شاه لم ينل رضی الوزير ابن هبيرة ، وهو الوزير الذي كان يرغب في اعلان السلطنة بأصفهان وغيرها باسم السلطان السلجوقي سليمان شاه بن محمد ، وذلك بعد وفاة ملكشاه بن محمود بن محمد . ولكن وفاة سليمان شاه سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م افحست المجال أمام ايلدكز لفرض نفوذه على الأمراء المأجورين له ، من أجل تدعيم مركزه ومركز السلطان أرسلان شاه ، حتى أصبحت شخصية ايلدكز من أكبر الشخصيات بفارس والعراق ، وصار هو الحاكم الفعلي . أما أرسلان شاه فلم يبق له غير الاسم (٣٠) .

ولم يكتف شمس الدين ايلدكز بما حصل عليه ، اذ غدا الأتابك الأعظم

---

الى أن الأتابكة قد تلقبوا بالقباب مضافة الى « الدين » ، حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية ، ص ٦٥ .

(٢٨) عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة ، ص ١٢٢ .

(٢٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٧٣ : انظر أيضا أبو الفدا ، المختصر ،

ج ٣ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣٠) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٦٤٠ ١ : الأصفهاني ، تاريخ دولة آل

سلجوق ، ص ٢٦٧ : عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ، ص ١٢٢ : حسن الباشا ،

الألقاب الاسلامية ، ص ٦٤ وقد أشار المؤلف الى أن كثيراً من الأتابكيات في العصر

السلجوقي « لم تكن تدين للسلطان السلجوقي بأكثر من الطاعة الاسمية » .



بأذربيجان وهمذان ، وأصفهان لأرسلان شاه ، كما غدا ابنه البهلوان محمد صاحب السلطان، بل لقد أخذ في مكاتبة الأمراء بقصد أخذ الولاء والطاعة منهم للسلطان أرسلان شاه الجديد ، فمنهم من وافق ومنهم من رفض . لذلك لم يجد ايلدكز بدأ من شن حرب على بعض خصومه ، كصاحب الري اينانج (٣١) ، وهى الحرب التى أسفرت فى النهاية عن عقد صلح بين الطرفين ، وعن زواج محمد البهلوان من ابنة اينانج المسماه قتيبة خاتون (٣٢) .

وعلى الرغم من أن هذه المناورات التى قام بها ايلدكز وريبيه أرسلان شاه قد منحته نوعاً من الهيبة والهيمنة على الأمراء المجاورين له ، فان خلافة بغداد لم تكن راضية عنه ، بسبب عدم تصديه للكرج الجورجان ، الذين استغلوا تلك الأوضاع فقاموا فى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م بالهجوم على مدينة آنى ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها . وعلى الرغم من محاولة شاه آرمن بن ابراهيم بن سكرمان القطبى صاحب خلاط التصدى للكرج ، الا أن المسلمين لقوا هزيمة منكرة « وقتل أكثرهم وأسر كثير منهم » (٣٣) .

وفى ظل الأوضاع المتردية للمسلمين فان الكرج بزعامه ملكهم جورج الثالث Georga III ( ٥٥١ - ٥٨٠هـ / ١١٥٦ - ١١٨٤م ) لم يقنعوا بما استولوا عليه من أراضى المسلمين بل تمكنوا من الاستيلاء على مدينة

---

(٣١) اينانج بك سنقر صاحب الري ، قتل سنة ٥٦٥هـ بتدبير من وزيره سعد الدين أسعد الذى وزر فيما بعد لشمس الدين ايلدكز . الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧٧ .

(٣٢) الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧١ . وقتيبة خاتون هى التى كان قزل أرسلان قد تزوجها عقب وفاة البهلوان ، وهى والدة اينانج محمود بن البهلوان . انظر المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ١٦٤١ .

(٣٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٧٧ . انظر ابن القلانسى ، نيل تاريخ دمشق ، ص ٣٦١ .

اما عن أسرة سكرمان القطبى بخلاط فانظر زامبار ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص ٢٤٨ .

دوين (٣٤) باقليم أذربيجان، وفعّلوا بأهلها الأفاعيل القبيحة، بحيث أسروا الرجال، وأخذوا النساء سبايا بعد تعريتهن واقتيادهن حفاة عراة، كما خربوا الجوامع والمساجد . وقد أثار هذا العمل الشنيع بنساء المسلمين استنكار نساء الكرج اللاتي قلن «ان مثل هذا العمل سيدفع المسلمين الى أن يفعلوا بنا مثلما فعلتم بنسائهم (٣٥)» . ويعلل بعض المؤرخين توسع الكرج على حساب المسلمين عندئذ بالأعمال القبيحة التي أرتكبها ايلدكز وأرسلان شاه في حق سكان أصفهان ، وبانتشار قوات ايلدكز وأرسلان شاه في حروب كثيرة بايران وفارس (٣٦) .

وقد أزعج عدوان الكرج على المسلمين - شمس الدين ايلدكز - وهو بهمدان . ولكنه ادرك أن لاطاقة له بملاقاة الكرج على انفراد، فطلب المساعدة ضدهم من شاه أرمن صاحب خلاط (٣٧) ، وأقنقر الأحمديلى صاحب مراغة (٣٨) ، فاجتمعوا - فى عسكر - زاد عدده على خمسين ألفاً ، متناسين ما بينهم من خلافات . وساروا الى بلاد الكرج والابخاز (٣٩) فى صفر سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م بقصد استعادة ما استولى عليه الكرج من مدن . وفى طريقهم نهبوا البلاد، وسبوا النساء والصبيان، واسروا الرجال ، حتى لقيهم الكرج، فاقتتلوا أكثر من شهر . وكان النصر فى النهاية حليف المسلمين بسبب الخطة العسكرية الناجحة التى اتبعها المسلمون فى تقسيم الجيوش

- 
- (٣٤) دوين : مدينة تقع بالقرب من آران على حدود أذربيجان . وهى قريبة من تفليس ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ، ص .
- (٣٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٨٠ .
- (٣٦) الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧٢ .
- (٣٧) خلاط : بلدة عامرة مشهورة ، وهى قصبة أرمينية الوسطى ، فتحت على يد القائد عياض بن شنم ، بها بحيرة مشهورة : حكمت من قبل الأيوبيين ، ودخلها الكرج والمغول . انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ : القسزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٢٤ .
- (٣٨) مراغه : مدينة فى بلاد أذربيجان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ .
- (٣٩) الأبخاز : أمة من النصارى يسكنون فى ناحية جبل القبق المتصل بباب الأبواب ، وبلادهم جبال صعبة المسالك وعرة ، لا مجال للخيل فيها انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٥ .

الى عدة أقسام، بناءً على مشورة أحد رجال الكرج، وكان قد أسلم حديثاً، فالتف بفرقة عسكرية خلف الجيوش الكرجية وغدر بهم، فانهزموا وكثر فيهم القتل والأسر. وعاد المسلمون الى بلادهم منصورين قاهرين بعد أن استولوا على غنائم كثيرة (٤٠).

وكان أن أدت هذه الانتصارات على الكرج الى كسر شوكتهم مؤقتاً والى ارتفاع الروح المعنوية عند شمس الدين ايلدكز وربيبه السلطان أرسلان شاه، وعلو صيتها في البلاد، مما أدى الى خضوع بعض أمراء الأطراف لهما، مثل صاحب نيسابور (٤١) المسمى المؤيد، وهو الذي أعلن في سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م خضوعه وطاعته للسلطان أرسلان ببلاد فارس، وذلك بعد سيطرة أرسلان شاه على قومس بخراسان (٤٢).

وعلى الرغم من هذه المكانة المرموقة التي حظى بها شمس الدين وربيبه أرسلان شاه بين معاصريهم من القوى الاسلامية، فإنهما لم يستغلا هذه الانتصارات التي حققها على الكرج في القيام بحركة جهاد شاملة ضد الكرج للاستيلاء على العاصمة تفتليس. لذلك عاود الكرج كرتهم مرة أخرى في سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م، واستولوا على مدينة آنى. على أن ايلدكز لم يغفل عن عمل الكرج هذا فتمكن من استعادتها، ودخلها وأعاد الى حكمها الأسرة الشدادية (٤٣).

---

(٤٠) الفارقي، ملخص تاريخ ميافارقين، ورقة ١٩٤، ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٧٩ - ٨٠؛ الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٧٤؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٦١؛ الذهبي، دول الاسلام، ج ٢، ص ٧٢.

(٤١) نيسابور: مدينة عظيمة من أشهر مدن خراسان، فتحت أيام عمر رضي الله عنه، على يد الاخفس بن قيس. يقول أحد الشعراء في أهلها:

لا تنزلن بنيسابور مغترباً  
الا وحبلك موصول بسلطان  
ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٣٢.

(٤٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٨٢.

(٤٣) الفارقي، ملخص تاريخ ميافارقين، ورقة ١١٩٦؛ عفاف صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٤٦٢، وعن الأسرة الشدادية انظر زامباور، معجم الأنساب والأسر الحاكمة، ص ٢٨٣.

ولم يتوقف الكرج عن غزو بلاد المسلمين، بل قاموا بحركة واسعة في سنة ١١٦٦/٥٦١م ، فخرجوا من بلادهم في جموع كثيرة وتمكنوا من الاستيلاء على كثير من بلاد المسلمين، حتى تمكنوا من الاستيلاء على مدينة كنج « فقتلوا وأسروا وسبوا كثيراً ونهبوا مالا يحصى » (٤٤) . وعلى الرغم من قوة ايلدكز وربيبه السلطان أرسلان شاه، فانهما لم يواجهوا الكرج هذه النوبة بسبب انشغالهما بأمر داخلية ومنافسات اقليمية ضيقة مع بعض القوى الاسلامية في فارس ، حتى أنهما قاما في سنة ١١٦٨/٥٦٣م بإرسال حملة عسكرية بقيادة البهلوان الى مراغة ضد صاحبها أقسنقر الأحمديلى ، لا لسبب الا لأنه طلب من الخليفة العباسى المستنجد بالله ( ٥٥٦ - ٥٦٣ هـ ) أن يخطب على منابر بغداد لابن السلطان محمد شاه الذى كان عنده . وقد أسفرت هذه الحملة عن مدهامة مراغه وهزيمة صاحبها والتنكيل به (٤٥) .

ولم يقف ايلدكز عند هذا الحد من اقحام نفسه فى نزاعات مع القوى الاسلامية فى فارس ، بل قام فى سنة ١١٦٩/٥٦٤م بهجوم على الرى، حيث تمكن من الاستيلاء على هذه المدينة بسبب عصيان صاحبها أقسنقر الأحمديلى عن دفع الأموال المطلوبة منه (٤٦) .

ومهما يكن من أمر ، فقد أدى هذا النشاط الحربى الى زيادة شهرة ايلدكز وعلو مكانته ، لا فى ايران وأرمينية فحسب ، بل حتى فى منطقة الجزيرة الفراتية، ففى سنة ١٧٧١/٥٦٦م استنجد به الأمير فخر الدين

---

(٤٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٩٤ . وكنجه : مدينة عظيمة تعتبر قسبة بلاد آران ، ويطلق عليها فى بعض كتب الأدب جنزه ، وتقع بين خورستان وأصبهان . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٨٢ .

(٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٩٨ : ابن الجوزى، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢١٠ .

(٤٦) أبو الفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٨ . والرى : مدينة مشهورة فى أمهات البلاد ، كانت تعرف باسم Rhages عند اليونان . وكان يطلق عليها اسم الحمديية نسبة الى الخليفة العباسى محمد المهدي . وفيها ولد هارون الرشيد ، وكان فيها دار حرب فى العصر العباسى . انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١١٥ ؛ ليسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ٢٤٩ .

القائم بأعمال الموصل عقب وفاة قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى ضد نور الدين محمود بن زنكى ، عندما عبر الفرات وقدم الى الموصل لتنظيم أمورها . فلما بلغ نور الدين موافقة شمس الدين ايلدكز على تقديم المساعدة لفخر الدين أرسل اليه رسالة تنم عن احتقاره لايلدكز الذى أهمل المشرق حتى استولى عليه الكرج (٤٧) . ولم يفف نور الدين محمود عند هذا الحد بل ضمن رسالته تهديدا لشمس الدين ايلدكز قال فيها : « وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون لى معك الحديث على باب همذان ، فانك ملكت هذه المملكة العظيمة وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها ، وقد بليت أنا ولى مثل ربع بلادك بالفرنج ، فاخذت معظم بلادهم وأسرت ملوكهم » (٤٨) .

ويبدو أن رسالة نور الدين محمود الموجهة الى شمس الدين ايلدكز قد أثرت فى نفسه اذ عدل عن التوجه الى الجزيرة ، وقويت حميته فى التصدى للكرج الذين كانوا فى سنة ٥٦٦هـ / ١١٧١م قد استولوا على مدينة دوين وفعلوا بأهلها الأفاعيل القبيحة (٤٩) . ولذلك لم يستجب لطلب دفع الجزية التى فرضها عليه ملك الكرج ، بل رد على الكرج ردا قبيحا كشف عن قوته وحميته ، وما كان يتمتع به من صدق وعزيمة . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل سار بمن معه من عساكر الى مدينة كنج . فلما بلغ ذلك ملك الكرج رد على ايلدكز رداً اعتذر فيه عن مطالبه، وتنازل عن طلبه السابق بدفع الجزية (٥٠) .

والواقع ان التفوق العسكرى الذى حققه شمس الدين ايلدكز مكنه من ارباب خصومه من الكرج وغيرهم وخصوصاً الخليفة العباسى المستضىء

---

(٤٧) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٥٣ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٩٢ ؛ حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص ٢٣١ ؛ د . مسفر الغامدى ، الجهاد ضد الصليبيين ، ص ٢٨٩ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف ، بلاد الجزيرة ، ص ٢٤ .

(٤٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ .

(٤٩) الذهبى ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

(٥٠) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢ - ٣ ؛ الأصفهانى ، زبدة

التواريخ ، ص ٢٧ .

بأمر الله الحسن ( ٥٦٦ - ٥٧٥هـ / ١١٧٠ - ١١٧٩م ) ، الذي كان قد أرسل الخلع والهدايا اليه بقصد صرفه عن دخول بغداد ، وذلك بعد ان سمع الخليفة العباسي بان ايلدكز سيصل الى بغداد لمطاردة احد خصومه في سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٣م (٥١) .

وهكذا ظل شمس الدين ايلدكز قوياً في وجه خصومه حتى كثرت أملاكه باذربيجان ، وبلاد الجبل ، وهمدان ، وأصفهان ، والري وما والاها من البلاد . ويعود ذلك الى كثرة جيوشه التي قيل أنها بلغت أكثر من خمسين ألف جندياً . ولم يكن لربيبه السلطان « أرسلان شاه » معه حكم ، إنما كانت له جراية تصل اليه . وكان ايلدكز عاقلاً حسن السيرة ، يجلس بنفسه للرعيه ويسمع شكوايهم «وينصف بعضهم من بعض» (٥٢) .

ولم يطل عمر ايلدكز بعد هذه المكانة التي حازها ، بل توفي في سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٣م في مدينة نخجوان الواقعة باذربيجان (٥٣) وبعد وفاة ايلدكز تولى الأمر باذربيجان ابنه نصره الدين محمد البهلوان ، المعروف باسم جهان بهلوان ( ٥٦٨ - ٥٧٢هـ / ١١٧٣ - ١١٨٦م ) . وكانت شخصيته لا تختلف كثيراً عن شخصية أخيه لأمه السلطان أرسلان شاه ، الذي لم يكن له حول ولا قوة . وقد استهل محمد البهلوان أعماله بالهجوم على مراغة سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٥م التي كانت تحت حكم أقسنقر الاحمديلى ، في الوقت الذي سير أخاه قزل أرسلان الى مدينة تبريز (٥٤) . ولكن صاحب مراغه ورجاله عرفوا قوة البهلوان ، فعقدوا معه صلحاً تم بموجبه رفع الحصار عن مراغه ، وتسليم تبريز له . فقبل البهلوان بذلك ، «وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتسلم البهلوان تبريز ، واعطاها أخاه قزل أرسلان ، ورحل

---

(٥١) المولوى ، صحائف الأخبار ، ص ورقة ٦٤٠ ب : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٢١ .

(٥٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١١٩ ؛ انظر : حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الاسلامى ، ص ٦٢٢ .

(٥٣) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٦٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١١٩ ؛ الأصفهاني ، زبدة التواريخ ، ص ٢٧٥ .

(٥٤) تبريز : مدينة من أشهر مدن أذربيجان ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٨٩ .

عن مراغه بعسكره « (٥٥) .

أما الكرج فقد استغلوا انشغال البهلوان بحروبه ضد صاحب مراغه ،  
و ضد شمله التركمانى الذى كان قد أشاع الخوف فى بلاد الجبل و بغداد ،  
ف هجموا على مدينة أنى - فى شهر ربيع الأول سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٥م - التى  
كان شمس الدين ايلدكز قد منحها لسقمان بن ابراهيم المعروف بشاهنشاه ،  
و تمكنوا من الاستيلاء عليها ورتبوا فيها والياً (٥٦) .

ولكن لم يهنأ الكرج طويلاً بما حققوه من نصر فى مدينة أنى ، اذ  
تمكن البهلوان ومعه ناصر الدين سقمان صاحب خلاط و بعض القوى  
الاسلامية من ضرب الكرج و الانتصار عليهم ، حتى وافقوا على عقد الصلح  
مع المسلمين . و فرض عليهم ما أراداه البهلوان ، الذى عاد بعد ذلك الى  
بلادهم محملاً بالغنائم فى سنة ٥٧١هـ / ١١٧٦م (٥٧) .



و الواقع ان القوة و المكانة اللتين حظى بهما الأتابك شمس الدين  
ايلدكز وابنه محمد البهلوان ، تعودان بالدرجة الأولى الى انهما حظيا  
بصحبة السلطان أرسلان شاه السلجوقى . و لذلك فان وفاة هذا السلطان  
سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٨م كانت نذيراً بضعف أتابكة أذربيجان . و قد حرص  
محمد البهلوان على تعيين ابنه طغرل بن أرسلان الثالث ( ٥٧٠ -  
٥٩٠هـ / ١١٧٤ - ١١٩٤م ) الذى كان صبياً ، و خطب له فى المحرم من  
السنة المذكورة . و استمر البهلوان يتصرف فى البلاد تصرفاً ممدوحاً ،  
و كان نفوذه قد شمل جميع بلاد الجبل و همذان و الزرى و أصفهان و آران  
و غيرها من البلاد (٥٨) .

(٥٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٢٤ .

(٥٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٥٥ ؛ ابن القلانسى ، نيل تاريخ

دمشق ، ص ٣٦٤ .

(٥٧) الفارقى ، ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة رقم ٢٠٨ ؛ الزاوندى ، راحة

الصدر ، ص ٤٢٨ ؛ الأصفهاني ، زبدة التواريخ ، ص ٢٨٨ .

(٥٨) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٦٤٠ ب ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ،

ص ١٤٣ ؛ الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧٥ .

( مجلة المؤرخ العربى )

والى جانب ارتباط قوة البهلوان بإرسال شاه ، فان قوة أتابكة أذربيجان ارتبطت بعلاقتهم الخارجية مع الكرج والقوى الاسلامية . ولذلك فان هيبة محمد البهلوان لا تقل عن هيبة وصلابة وقوة والده ، بدليل موقفه . - الذى يسترعى الانتباه - من الخليفة العباسى المستضىء بأمر الله ( ٥٦٦ - ٥٧٥ هـ ) فقد رفض البيعة للخليفة المذكور الا بعد الحاح من رسول الخلافة صدر الدين شيخ الشيوخ . وقيل أنه لولا خوف البهلوان من عصيان كثير من عساكره ، لما أعلن البيعة للخليفة ( ٥٩ ) . وان دل هذا على شيء فانما يدل على اعتداده بنفسه وبقوته ، وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أن البهلوان شجع طغرل على انتزاع السلطة الزمنية من الخليفة ، الا أن ضعف السلطان السلجوقى حال دون تحقيق ما كان يصبو اليه ( ٦٠ ) .

ولا أدل على قوة وشهرة البهلوان محمد بأذربيجان والمشرق من أن عز الدين ابن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل ، عندما تعرض لخطر الهجوم من قبل صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م لم يجد حرجاً فى الاستعانة ضده بزعيم أذربيجان محمد البهلوان . ولكن عز الدين أدرك فى النهاية أن خطر البهلوان قد يكون أفدح من خطر صلاح الدين ، فعدل عن الاستنجاد به ( ٦١ ) . ولما كان صلاح الدين رحمه الله حريصاً على الاستيلاء على الموصل من الزنكيين ، فقد كتب الى الخليفة العباسى كتاباً أوضح فيه غرضه من الاستيلاء على الموصل ، وهو منع الزنكيين

---

(٥٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٤٩ ؛ الأصفهاني ، سنا البرق الشامى ، ص ١٧٤ وقد ذكر ابن الجوزى فى منتظمه أن سمعة البهلوان ساءت فى بغداد ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢١٠ .

(٦٠) يارتولد ، تركستان ، ص ٥٠٠ .

(٦١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٨ . وقد أشار ابن الأثير الى أن البهلوان أرسل من قبله قزل أرسلان الى الموصل بقصد اصلاح الأمر بين صلاح الدين والزنكيين فلم يتم ذلك - أما عز الدين مسعود بن قطب الدين فقد توفى سنة ٥٨٩ هـ انظر ترجمته كاملة فى كتاب ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ؛ وهذا بخلاف ما جاء فى كتاب الاعلاق الخطيره ، لابن شداد ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٢٠ . ولزيد بن الايضاح عن حكام الموصل من بنى زنكى انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢٢٥ .



من الخطبة لصاحب العجم (٦٢) - والمقصود به محمد البهلوان - الذى كان على علاقات سيئة بالخلافة فى بغداد . لذلك سار صلاح الدين سنة ١١٨٥/٥٥٨١م متوجهاً الى الموصل ، ولكنه لم يتمكن من الاستمرار فى حصارها بسبب استبسال أهلها وحرارة الجو، بالإضافة الى وصول خبر وفاة شاه أرمن صاحب خلاط (٦٣) بمنطقة الجزيرة . وكانت تربطه بالبهلوان علاقات مصاهرة، اذ أنه كان زوجاً لاحدى بنات البهلوان . لذلك وجد صلاح الدين أن المسارعة فى الاستيلاء على خلاط أولى من الاستيلاء على الموصل ، خوفاً عليها من السقوط بيد صاحب العجم . ولهذا غادر صلاح الدين الموصل الى خلاط بدعوة من أهلها والقائمين عليها « مكرأ وخديعة » منهم . وكان غرضهم من ذلك دفع البهلوان الذى كان هو الآخر قد وصل قريباً منها « وترددت رسل أهل خلاط بينهم وبين صلاح الدين، ثم انهم اصلحوا أمرهم مع البهلوان وصاروا من حزبه وخطبوا له » (٦٤) . وان دل هذا على شيء فأنما يدل على أن ابنة البهلوان زوجة شاه أرمن كان لها دور فى تسيير الحوادث بخلاط ، والا فان البهلوان ليس فى قوة صلاح الدين ولا كثرة عساكره . كذلك لا يستبعد أن يكون لأهل الجزيرة

---

(٦٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ؛ عبد الله الغامدى ، صلاح الدين والصلبيون ، ص ٨٨ ولزيد من التفصيل عن هذه الرسالة . انظر : نص الرسالة الثانية التى أرسلها صلاح الدين الى الخليفة العباسى . محمد القزاز ، الحياة السياسية فى العراق ، ص ٣٨٥ .

(٦٣) شاه أرمن : هو ناصر الدين سكرمان الثانى بن ابراهيم . توفى فى ٩ ربيع الثانى سنة ٥٥٨١هـ . وتولى أمر خلاط بعده سيف الدين بكتيمور مملوك ظهير الدين ابراهيم شاه أرمن بن سكرمان . زامباور ، معجم الأنساب ، ص ٣٤٩ .

(٦٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٩ . ود نكر ابن واصل أن أهل خلاط ولوا أمرهم للامير سيف الدين بن بكتيمور الذى تمكن من تخويف كلا من البهلوان وصلاح الدين بصاحبه ، وبهذه الطريقة عاد كل منهما الى بلاده . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ . أما العينى فيذكر أن البهلوان أرسل الى صلاح الدين عند محاولة الأخير الاستيلاء على خلاط وقال له : ان هذه بلاد ابنتى والمصلحة أن تعود ، فعاد صلاح الدين الى محاصرة الموصل للمرة الثالثة . العينى ، عقد الجمان ، ج ٢٥ ، ص ١٨ .

انظر ابن الوردى ، تنمة المختصر ، ج ١ ، ص ١٤٣ ؛ ابن شداد الاعلاق الخطبة . ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٤٥١ ؛ المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٨٩ .

وميفارقين (٦٥) ميول الى العجم أكثر من ميلهم الى صلاح الدين، الذي أصبح مكروها لدى الزنكيين بصفة خاصة وسكان الجزيرة بصفة عامة، نظرا لسياسته تجاه البيت الزنكي عندما كان يعمل على توحيد الجبهة الاسلامية (٦٦) .

ولم تطل حياة محمد البهلوان لنرى هل سيحقق في جهاده ضد الكرج ما حققه صلاح الدين ضد الصليبيين بالشام . ذلك أن صلاح الدين عندما كان يحارب في اقليم الجزيرة وشمال الشام ، كان يهدف الى توحيد قوى المسلمين ضد الصليبيين في بيت المقدس - مما مكنه فيما بعد من تطهير أولى القبلتين من سيطرة المغتصبين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م (٦٧) - أما محمد البهلوان، فان جهوده ضد القوى الاسلامية لم تسفر عن نتائج ذات بال . ويبدو أن سبب ذلك انما كان تشتت قواه بين الكرج والامارات الاسلامية في فارس والخلافة العباسية في بغداد .

وفي أوج المكانة التي حققها البهلوان بين معاصريه لم يمهله أجله طويلا ، اذ توفى في أول سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م . وكان كما وصفه معظم المؤرخين عادلا حسن السيرة عاقلا حلما ، ذا سياسة حسنة في الملك ، ظلت البلاد في عهده آمنة والرعايا في اطمئنان (٦٨) .

---

(٦٥) ميفارقين : مدينة مشهورة بديار بكر ، بمنطقة الجزيرة . فتحت على يد بن غنم زمن عمر بن الخطاب . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢٨ وما بعدها ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٦٥ .

(٦٦) حامد غنيم : الجبهة الاسلامية في عصر الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠ ، وفي هذا الصدد يعلق الأستاذ الدكتور حامد غنيم بقوله : ان صلاح الدين لم تكن تحركاته في منطقة الجزيرة بدافع السيطرة أو الرغبة في الانتقام ، وانما كانت بدافع توحيد الجبهة الاسلامية .

(٦٧) ابن واصل . مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١١ : الأصفهاني ، سنا البرق الشامي ، ص ٣٠٩ ، حسنين ربيع ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٨ - ٢٤٨ .

(٦٨) المولوي ، صحائف الأخبار ، ورقة ٦٤٠ ب ، ويذكر أن الوفاة كانت سنة ٥٨٢هـ ، أما ابن الأثير في كامله فيذكر أن الوفاة كانت سنة ٥٨٢هـ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ؛ عبد النعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ، ص ١٤٥ .

وقد اتصف محمد البهلوان بالشجاعة وقوة الشخصية، مما مكنه من فرض سيطرته على كامل البلاد التي كانت لوالده . بل لقد تمكن من اخضاع الكرج والحد من طغيانهم على بلاد المسلمين ، وصار له نفوذ بمنطقة الجزيرة الفراتية كما مر بنا ، كما أنه وقف موقفا صلبا أمام رسل الخلافة عند المبايعة للخليفة العباسي (٦٩) .

وليست هذه الأسباب وحدها هي الدالة على قوة شخصية محمد البهلوان، بل ان هناك الكثير من الدلائل الأخرى . من ذلك ما أعقب وفاته من فتن تفجرت بين السنة والشيعة ، وبين الشافعية والحنابلة . ففي أصفهان ذكر أن الخسائر المادية والبشرية نتيجة الفتن الداخلية فاقت « ما يجلب عن الوصف » . ولم تقتصر الفتنة بين السنة والشيعة على أصفهان بل تعدتها الى مدينة الري التي قتل من أهلها العدد الكبير « وتفرق أهلها » . كل ذلك بسبب عدم وجود الشخصية الكبيرة التي تستطيع أن تخمد مثل هذه الفتن (٧٠) . وفي جانب آخر من جوانب شخصية البهلوان ومدى ما أحدثته وفاته من فراغ ، ان السلطان طغرل بن أرسلان خرج وأعلن العصيان على خليفة البهلوان قزل أرسلان « ولحق به جماعة من الأمراء والجنود فاستولى على بعض البلاد ، وجرت بينه وبين قزل حروب » ولما لم يجد مظفر الدين قزل أرسلان بدأ من مجابهة طغرل ، أرسل الى الخلفية العباسي الناصر لدين الله ( ٥٧٥ - ٦٢٢هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٥م ) يستنجده فلبى الخليفة طلب طغرل سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، وأرسل له جيشاً جعل على قيادته الوزير جلال الدين بن يونس (٧١) ولكنه منى بالهزيمة . وازاء ذلك أمر الخليفة « بنقض دار السلطنة ببغداد . فهدمت الى الأرض

(٦٩) انظر ما سبق ، ص ١٥ .

(٧٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٧٤ .

(٧١) الوزير جلال الدين بن يونس : أبو المظفر عبيد الله بن يونس جلال الدين ، قتله ابن القصاب سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م . ابن الجوزي ، فضائل القدس ، مقدمة المحقق ص ٢٨ . والوزير له ترجمة كاملة في كتاب النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ، ج ٦ ، ص ١٤٢ . وجاء في ذيل الروضتين أن الوزير ابن القصاب سلم ابن يونس الى ولده أحمد وأوصاه بقتله ، أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص ٩ .

وعفى أثرها « (٧٢) .

ولم تتح الفتن الداخلية فرصة للأتابك قزل أرسلان لجهاد الكرج ، نظرا لانشغاله بالفتنة التي قامت بينه وبين السلطان طغرل الثالث، بالإضافة الى انشغاله بالنزاع مع أبناء أخيه نصره الدين محمد البهلوان (٧٣) . ولما كانت سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م قتل الأتابك قزل أرسلان بتدبير من زوجته وبعض أمراء العراق تعاطفاً مع السلطان طغرل الثالث الذي كان على علاقات سيئة معه (٧٤) . وكان نهذه الخطوة أثرها في اضعاف أتابكة أذربيجان . ولم يتوقف الضعف في صفوف أتابكة أذربيجان عند هذا الحد بل أن أبا بكر بن البهلوان هرب من همذان وتوجه صوب نخجوان حيث لقي من أهلها ترحيباً، فتمكن من بسط نفوذه على آران وأذربيجان التي أصبحت فيما بعد مركزاً لبني ايلدكز (٧٥) .



أما بالنسبة لابناء نصره الدين محمد البهلوان - أينانج محمود وأمير اميران عمر - فقد ساءهم ماوصل اليه حال أخيهما أبي بكر، فحشدا قواتهما من الأوباش والبطالين وساروا الى تبريز. وقد تمكنا من الاستيلاء عليها ثم واصلا سيرهما باتجاه نخجوان لملاقاة أبي بكر ، الا أن أبا بكر

---

(٧٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٨٩ - ١٩٧ ؛ انظر عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ، ص ١٢٧ . وقد أشار ابن الأثير الى أن صلاح الدين قد علق على حملة الخليفة وقال : ان مصيرها الهزيمة المحققة نظرا لعدم معرفة الوزير بفنون الحرب .

(٧٣) الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧٦ . وجاء في بعض المراجع أن السلطان صلاح الدين حاول الاصلاح بين قزل وطغرل فلم يفلح في الأمر ، ونحن نشك في ذلك . انظر : سعد الغامدي ، أوضاع الدول الاسلامية ، ص ٦٥ - ٦٦ ؛ حافظ حمدي : المشرق الاسلامي ، ص ١٠٦ .

(٧٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٢ ؛ الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧٦ ؛ عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ، ص ١٢٩ ؛ براون ، تاريخ الأدب في ايران ، ص ٥٠٩ .

(٧٥) الراوندي ، راحة الصدور ، ص ٥٠ ؛ الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القديسي ، ص ٥٧٥ .

تمكن من هزيمتهما شر هزيمة (٧٦) .

ولم تتوقف سلسلة الحوادث بين الأتابكة ، فقد كان اينانج محمود بهمذان عقب وفاة مظفر الدين قزل أرسلان، وتولى أخوه أبو بكر بن البهلوان السلطة، فجمع جموعه بقصد محاربة أبي بكر؛ إلا أن الأنباء وصلته في سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م تفيد أن السلطان طغرل حشد قواته وتوجه صوب همذان للاستيلاء عليها . وفعلا تمكن من الاستيلاء عليها في الوقت الذي هرب اينانج محمود وتحصن بالري ، واستنجد بالسلطان الخوارزمي تكش ( ٥٦٨ - ٥٩٧هـ/١١٧٢ - ١٢٠٠م ) (٧٧) ضد السلطان طغرل ، الذي كان قد تزوج بأمر اينانج محمود قتيبه خاتون - طمعا في «المال والملك» . ولما كانت سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م قدم تكش نجدة له ، وتمكن من الاستيلاء على بعض قلاع الري (٧٨) .

ولم تطل اقامة تكش بمهذان، بل عاد الى بلاده بعد أن عقد صلحا مع السلطان طغرل الثالث . على أن السلطان نقض الهدنة بينه وبين تكش فعاد تكش الى الري مرة ثانية، وتمكن من ملاقاته السلطان سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م ، وفي معركة غير متكافئة دارت بين الطرفين قتل السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة بفارس والعراق . وتسلم السلطان خوارزمشاه ، همذان وبعض بلاد الجبل ، وسلمها الى اينانج، وعاد الى بلاده ؛ إلا أن اينانج كفر النعمه وعاد الى قتال الوالى الخوارزمي بالري (٧٩) .

(٧٦) الأصفهاني ، زبدة التواريخ ، ص ٣٠٣ . ويشير عبد النعيم حسنين في كتابه دولة السلاجقة ، ص ١٣٠ الى أن الحرب نشبت بشكل كبير وفي فترات متعددة . (٧٧) عن أسرة خوارزمشاه ونسب هذه الأسرة . انظر : بارتولد ، تركستان ، ص ٥١١ حيث هناك شجرة تبين نسب هذه الأسرة .

(٧٨) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ١٦٤١ .

(٧٩) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ١٦٤١ ؛ الراوندى ، راحة الصدور ، ص ٣٧١ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص ١٢٥ ؛ الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧٦ ؛ الأصفهاني ، زبدة التواريخ ، ص ٣١٢ - ٣١٤ وقد جاء فى حاشية زبدة التواريخ رقم ١ ، ص ٣١٤ أن لسلطان علاء الدين خوارزمشاه تكش لما احتل همذان ، ومعظم مدن وقلاع العراق ، تقطع كثيرا منها لأمرائه ومماليكه .

على أن اينانج محمود لم يستطع المحافظة على مكاسبه فى الرى وأصفهان فتمكن الوالى الخوارزمى الجديد من اجباره على مغادرة الرى . ولذا توجه صوب العراق لطلب النجدة من الخليفة الناصر لدين الله ( ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ ) والوزير ابن القصاب الذى كان بخوزستان ( ٨٠ ) . وكان أن تمكن ابن القصاب من اجبار الخوارزميين على الخروج من الرى ، كما استولى على همذان ، الا أن قتلغ اينانج - مثلما فعل مع الخوارزميين فى السابق - كفر النعمة وعصى على الوزير « فهرب وتحصن بالرى » . ولكن الوزير تمكن من أخذها منه فهرب « اينانج ومن معه الى آوه » ( ٨١ ) وفى خضم هذا الصراع ، ورد على ابن القصاب رسول خوارزمشاه يطلب البلاد ، فلم يجبه . فما كان من خوارزمشاه الا أن أرسل قوة عسكرية وصلت الى همذان سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م . ولكن الوزير مات قبل وصولها ( ٨٢ ) ، ولم تتمكن قوات الوزير والخليفة من الصمود أمام قوات الخوارزميين فهزمت وتفرقت ( ٨٣ ) .

---

فاقطع أصفهان لقتلغ اينانج وهمذان لفاراغوز الاتابكى ، أما الرى فلأنه يونس خان . ولزيد من التفصيل انظر : سعد الغامدى ، أوضاع الدول الاسلامية فى الشرق الاسلامى . ص ٧٤ - ٧٧ .

( ٨٠ ) كان الوزير مؤيد الدين على بن محمد بن القصاب قد خرج من بغداد لنجدة بعض رجال بنى شمله المتنافسين على الحكم : سعد بن حذيفة ، أوضاع الدول الاسلامية ، ص ٩٠ . وخرزستان : اسم لولاية كبيرة تشبه أرض العراق وجوها ، وهى تنسب الى سكانها المعروفين باسم الخوز . انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ . ( ٨١ ) آوه : قرية مشهورة بين زنجان وهمذان ، خرج منها العديد من العلماء . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

( ٨٢ ) كان ابن القصاب قد تسلم الوزارة سنة ٥٩٠ هـ بعد قتل سلفه ابن يونس ، وكان يميل الى الشيعة الأمر الذى جعله ينكل بأهل السنة ، وخصوصا الحنابلة الذين كان على رأسهم عبد الرحمن بن الجوزى الذى نفى الى واسط ومكث بها خمس سنوات . انظر : ابن الجوزى ، فضائل القدس ، مقدمة المحقق ، ص ٢٨ : أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص ٩ .

( ٨٣ ) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٦٤١ ب ، ص ٢٣٥ : سعد بن حذيفة : الدول الاسلامية فى الشرق الاسلامى ، ص ٩٠ وما بعدها . أما ابن الأثير فيشير فى حوادث ٥٩١ هـ الى أن قوات الخلافة تمكنت من ملاحقة جيوش الخوارزميين وظفرت بشيء كثير ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣٥ .

وعندما رأى الخوارزميون أن البقاء فى ذلك الاقليم ليس فى صالح قواتهم عادوا الى خراسان ومنها الى جرجانية (٨٤) باقليم خوارزم، بعد أن استنابوا على الرى وهمذان وبلاد الجبل مملوك السلطان تكش المسمى مياجن، وهو الذى تمكن فى سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م من قتل الأتابك قتلغ اينانج (٨٥) .



أما الأتابك أميراميران عمر بن البهلوان فقد توجه فى خضم هذا النزاع الى شروان (٨٦) وتزوج من ابنة صاحبها الذى تمكن من اقناعه بالدخول فى حلف مع الكرج ضد أبى بكر بن البهلوان . وكدليل على حسن النية توجه أميراميران وصاحبه الى تفليس وقابلا الملكة الكرجية ثمار الكبرى Tamara ( ٥٨٠ - ٦٠٩هـ / ١١٨٤ - ١٢١٢م ) (٨٧) التى أمدتهم بمساعدات عسكرية كبيرة، جعلت قيادتها لزوجها المسمى داود سوسلان . وكان أن تمكنوا من هزيمة أبى بكر البهلوان سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م عند بيلقان (٨٨) كما تمكنوا من الاستيلاء على كنجه ونصبوا عليها أميراميران عمر وعادوا الى بلادهم (٨٩) .

ولم يطل عمر أميراميران عمر عقب دخوله كنجه ، اذ توفى بعد اثنين وعشرين يوماً من دخولها ، فقدم اليها أبو بكر بن البهلوان ودخلها

- 
- (٨٤) جرجانية : أشهر مدن إقليم خوارزم ، كانت عاصمة الدولة الخوارزمية ، تقع على نهر جيحون . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .
- (٨٥) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٤١ب . وقتلغ اينانج أخو الأتابك أبو بكر من أسرة ايلدكز ، وهو ابن لجهان بهلوان حكم فى الفترة من (١١٩١-١٢١٠م) انظر : بارتولد ، تركستان ، ص ٤٩٩ ، حاشية رقم ١٤٣ .
- (٨٦) شروان : مدينة تقع قرب بحر الخزر من نواحي مدينة باب الأبواب ، محمد شيت خطاب ، أرمينية بلاد الروم ، ص ٢٩ .
- (٨٧) عفاف صبره ، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٥٢٧ .
- (٨٨) بيلقان : مدينة تقع فى السهل الممتد بين التقاء نهر الرسى ونهر الكر، وهى احدى المدن التى بناها قبادة للدفاع عن المنطقة من هجمات الخزر ، وهى قريبة من باب الأبواب ، محمد شيت خطاب ، أرمينية بلاد الروم ، ص ٢٩ .
- (٨٩) الاصفهاني ، زبدة التواريخ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٨ .

ورتب أمورها ، وعين عليها حاكماً من قبله ثم عاد الى نخجوان (٩٠) .  
أما الكرج فانهم بعد سماعهم نبأ وفاة حليفهم وصنيعتهم بكنجه لم يتورعوا عن اعداد حملة عسكرية كبيرة لعلمهم يستعيدوا بها هذه المدينة .  
ولكنهم عجزوا عن ذلك بعد حصار طويل ، فتوجهوا صوب نخجوان التي بها أبو بكر البهلوان . فلما علم بمقدمهم هرب الى تبريز ، وترك المدينة وأهلها يواجهون مصيرهم المحتوم على يد الكرج الذين أسروا من أهلها ما لا يعلمه الا الله (٩١) .

ولم يقف أمر تصدع بيت أتابكة أذربيجان من بنى ايلدكز عند حد الانقسام السياسى وضياع الأراضى بل تعداه الى أن أبى بكر بن البهلوان وغيره من كبار رجال بيته وقادته كانوا منهمكين فى الشراب ليلا ونهارا مما سهل للكرج الاستيلاء على معظم اقليم أذربيجان . وقد استمروا فى توسعهم حتى كانت سنة ١١٩٨هـ / ١٥٩٥م عندما خرج الكرج فى جموع كبيرة وتوجهوا الى مدينة دوين القريبة من حدودهم وفرضوا عليها حصاراً طويلاً . ولما لم يجد أهلها قدرة على الصمود استنجدوا بابن البهلوان أبى بكر ولكنه لم يتمكن من نجاتهم ، فتمكن الكرج من الاستيلاء على المدينة وذلك فى سنة ١٢٠٢هـ / ١٥٩٩م وفعلوا بأهلها من المسلمين ما تقشعر له الجلود ، فى الوقت الذى لم يتمكن ابن البهلوان من تقديم مساعدات لأهلها . وقد صور المولوى صمت ابن البهلوان وعدم نجاته للمسلمين بقوله « فكأنهم ينادون صخرة صماء فكررنا الاستغاثة فإزداد صمتا وقسوة حتى فعل الكفار ما أرادوا . . . بعد تخريب البلاد والقرى .  
قالله يرحم العباد « (٩٢) .

---

(٩٠) الأصفهاني ، زبدة التواريخ و ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ، وجاء فى الحاشية رقم ٢ بنفس الصفحة أن أبى بكر قد أوعز الى بعض رجاله قتل أخيه أميراميران عمر .  
(٩١) نفس المصدر ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .  
(٩٢) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٤١ب ؛ انظر كذلك ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٠ ؛ الأصفهاني ، زبدة التواريخ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ؛ الغساني ، المسجد المسيوك ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٣٨ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .



ويبدو أن هجمات الكرج على أملاك أتابكة أذربيجان لم تكن نتيجة لضعف أبى بكر البهلوان وانشغاله باللهو والشراب فحسب ، وإنما ترجع أيضاً الى الفتن الداخلية وظهور بعض الشخصيات القيادية من مماليك البهلوان وأولاده . ففي سنة ١٢٠٣م / ٦٠٠هـ تمكن أحد مماليك أبى بكر ابن البهلوان ، ويدعى ايتغمش ، من قتل والى الرى ويدعى المملوك كوكجا ، واستولى عليها . وحتى يضى على هذا العمل الشرعية حمل معه أوزبك بن البهلوان (٩٣) .

تلك الحوادث وغيرها ، كقيلة باضعاف جانب أتابكة أذربيجان . ولهذا أغار الكرج على أراضى أذربيجان، وتمكنوا فى سنة ١٢٠٤م / ٦٠١هـ من الاستيلاء على مدينة مرند التابعة لأقليم أذربيجان ، وفعلوا بأهلها الأفاعيل ، حتى غدت مضرب الأمثال فى الدمار والأبادة (٩٤) .



ولم تترك هذه الأوضاع القائمة بين أتابكة أذربيجان وبعض من ناحية ، وبينهم وبين الكرج من ناحية أخرى . فرصة لتقوية جبهتهم الداخلية . ولذلك لجأ أبو بكر - بعد أن عرف عجزه عن محاربة الكرج - الى مصاهرتهم ، فلما كانت سنة ١٢٠٥م / ٦٠٢هـ تزوج ابنة ملك الكرج « فسكنت غاراتهم على بلاد المسلمين » (٩٥) .

وبالرغم من المصاهرة التى تمت بين أبى بكر والكرج فان أوضاعه

---

(٩٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٥ . أما الرى فقد كان البهلوان قد استولى عليها وعلى ما جاورها من بلاد الجبل سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م . أما ايتغمش فيذكر ابن الأثير فى كامله أنه شدد الحرب على الاسماعيلية بايران ولولا انشغاله بأبى بكر بن البهلوان لامكنه الاستيلاء على قلعة الموت، ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٨٢ .  
(٩٤) الاصفهاني ، زبدة التواريخ ، ص ٣٠٩ . ومرند : من مشاهير مدن أذربيجان ، بينها وبين تبريز مسيرة يومين على الأقدام . ياقوت . معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١١٠ .

(٩٥) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٤٢ أ ؛ انظر : الذهبى ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ؛ ابن الوردى تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٧٧ ؛ ابن خلدون ، العير ، ج ٥ ، ص ٣ .

السياسية الداخلية لم تتحسن ولم تستقر ؛ اذ نظر بعض قادة المسلمين الى هذا الزواج السياسى على أنه منتهى الذل والخضوع . ولذلك اتفق صاحب مراغه علاء الدين مع صاحب أربل مظفر الدين كوكبرى سنة ٦٠٢م هـ / ١٢٠٥م على قصد أذربيجان وأخذها من صاحبها أبى بكر بن البهلوان بسبب مواقفه السلبية تجاه الكرج . فلما عرف أبو بكر أن هذا الحلف قصد تبريز مقر اقامته ، حشد قواته واستنجد بايتغمش مملوكه بالرى ، فقدم اليه . وكان لأيتغمش دور كبير فى تفكيك هذا الحلف بحيث عاد صاحب أربل الى بلده . أما صاحب مراغه فقد صالح أبى بكر بن البهلوان وايتغمش على تسليم حصن من حصونه مقابل اقطاعه مدينتين صغيرتين تابعتين لمراغه ، على أن يعود أيتغمش الى بلاده (٩٦) .

أما الكرج فقد استغلوا انشغال البهلوان بمشاكله مع القوى الاسلامية ، فأغاروا فى نفس السنة على أرمينية وحاولوا الاستيلاء على خلاط . ولكن حماسة المسلمين ورغبتهم فى الجهاد مع كثير من علمائهم أجبرت الكرج على العودة بعد أن قتلوا وأسروا منهم أعداداً كبيرة . ولكنهم عادوا فى سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة قرص (٩٧) من أعمال خلاط « وصارت دار شرك بعد أن كانت دار توحيد ، فان لله وانا اليه راجعون » (٩٨) .

وفى ظل هذه الأوضاع المتردية للمسلمين ، وجد الكرج أن الفرصة مواتية لهم للهجوم على اماره خلاط بأرمينية ، مستغلين فى ذلك انشغال أبى بكر بن البهلوان بأذربيجان بفتنه الداخلية ولهوه ، فصبوا جام غضبهم على اماره خلاط بأرمينية . وكان من المتوقع أن يقف أبو بكر بن البهلوان الى جانب صاحب خلاط . ولكنه للأسف لم يسع الى ذلك بل قام فى سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م بهجوم على مراغه ، وتمكن من الاستيلاء عليها عقب وفاة

(٩٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٢٨٢ .

ج٤ ، ص ٢٢٣ .

(٩٧) قرص : مدينة بأرمينية من نواحي خلاط ، ياقوت ، معجم البلدان ،

(٩٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٢٨٩ ؛ انظر : ابن الساعى ، الجامع

المختصر ، ج٥ ، ص ٢٠٦ .

صاحبها علاء الدين قراسنقر الأحمديلى الذى لم يخلفه أحد من أسرته  
فى حكم بلاده (٩٩) .

وبالرغم من الأخطار المحدقة بأبى بكر بن البهلوان فإنه « قد بقى  
على فسقه وشربه ٠٠٠ حتى توفى سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م بمدينة تبريز، تجاوز  
الله عن سيئاته » (١٠٠) . وقد مكث فى حكم أذربيجان أكثر من عشرين  
سنة ، فتولى الأمر بعده أخوه مظفر الدين أزيك بن البهلوان محمد بن  
شمس الدين ايلدكز ، وكان قبل توليه الأمر مقيما ببلاد الجبل عند المملوك  
أيتغمش ، وقبله عند كوكجا . وفى بداية أمره حاول أن يصلح المفاصد  
التي انتشرت فى أيام أخيه ، لكن النزاعات الداخلية لم تدع مجالا  
للإصلاح . وقد تمكن أحد المماليك المسمى منكلى فى سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م  
من طرد أيتغمش من الرى وأجبره على الخروج منها فوجد الأخير أن  
الأفضل له الذهاب الى بغداد للاستنجاد بالخليفة الناصر ( ٥٧٥هـ /  
٦٢٢هـ ) (١٠١) .

على أن هذا التصرف من قبل منكلى كان له أثره على القسوى  
الاسلامية ، فتكون ضده حلف من الخليفة العباسى ، وجلال الدين (١١٢)  
صاحب الاسماعيليه، وأزيك بن البهلوان ، لقتال منكلى وأخذ البلاد من  
يده . وقد تمكن هذا الحلف من هزيمته وقتله واقتسام بلاده التي استولى  
عليها من أيتغمش ، وقسمت بين أعضاء الحلف ، وكان النصيب الأوفر  
من بلاده لأزيك بن البهلوان ، وصاحب قلاع الاسماعيليه (١٠٣) .

---

(٩٩) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٦٤٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ،  
ج ٩ ، ص ٢٩٧ .

(١٠٠) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٦٤٢ ؛ انظر : ابن الأثير ، الكامل ،  
ج ٩ ، ص ٣٤٩ .

(١٠١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٠٥ ؛ الذهبى ، تاريخ الاسلام ،

(١٠٢) جلال الدين حسن الثالث بن محمد الثانى كان دس له البسم فتوفى سنة

٦٠٧هـ ، وتولى بعده زعامة الاسماعيليه علاء الدين محمد الثالث الذى عارض

الاسماعيليه فى كثير من معتقداتهم ، وأقام فى بلاده الأذان والجمعه والجماعة فى

الصلاة ، انظر : زامباور ، معجم الانساب ، ص ٣٢٩ .

(١٠٣) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٦٤٢ .

أما أزيك فقد سلم نصيبه من بلاد الجبل الى مملوك أخيه المسمى  
أغلمش وذلك سنة ١١٦٢هـ/١٢١٥م ، وهى السنة التى أرسل فيها رأس  
منكلى الى بغداد كدليل على التخلص منه (١٠٤) .

ولما كانت طائفة الاسماعيلية لا يؤمن جانبها ، فقد قام بعض رجال  
هذه الطائفة باغتيال أغلمش ، فأصبحت بلاده مطمعا للطامعين سواء  
الاسماعيلية أم الخوارزميين أم صاحب فارس سعد بن زنكى (١٠٥) ،  
وكان أن تسابق الجميع للاستيلاء عليها، إلا أن علاء الدين محمد خوارزمشاه  
زعيم الخوارزميين ( ٥٩٧ - ٦١٨هـ / ١٢٠٠ - ١٢٢١م ) تمكن من  
الاستيلاء على بلاد الجبل والرى وهمذان بعد أن أسر سعد بن زنكى ،  
وأجبر أزيك على مغادرة أصفهان الى أذربيجان . وأستقرت القاعدة بينه  
وبين أزيك صاحب أذربيجان على أن يخطب له أزيك ببلاده ويدخل فى  
طاعته (١٠٦) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل قام الأتابك أزيك بضرب السكة باسم  
السلطان الخوارزمى وأرسل اليه الهدايا والتحف . على أنه أعتذر عن دفع  
ما طلبه السلطان من أموال بسبب قلة دخل البلاد ، وكثرة الانفاق على  
المجاهدين ضد الكرج . ولما عرف السلطان هذا الأمر تجاوز عن المال  
المطلوب من أزيك، وأرسل الى الكرج يحذرهم من الاعتداء على أذربيجان  
باعتبارها أصبحت من أملاكه الخاصة (١٠٧) .

(١٠٤) نفس المصدر ، ورقة ٦٤٤-١ .

(١٠٥) هو سعد الاول بن زنكى تولى أمر أتابكية فارس من أسرة بنى سلغر فى  
سنة ٥٩٩ هـ وأسره خوارزمشاه سنة ٦١٣ هـ وأعادته عاملا على بلاد فارس ، وكانت  
علاقاته طيبة مع جلال الدين منكبرى زعيم الخوارزميين انظر : زامباور ، معجم  
الأنساب ، ص ٣٥٠ .

(١٠٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣١٣ ؛ الجوينى ، تاريخ جهانكشاي ،  
ج ٢ ، ص ٨ ؛ حافظ حمدى ، الدولة الخوارزمية ، ص ٤٧ .

(١٠٧) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٥٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ،  
ج ٥ ، ص ١٢٨ ؛ فؤاد الصياد ، المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٧١ ؛ عفاف صبرة ،  
دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٩٣ .

وهكذا تعتبر هذه الخطوة نقطة تحول فى تاريخ أتابكية أذربيجان لم يسبق لها مثيل من قبل فى اعلان الطاعة للخوارزمين . ولا يخرج ذلك عن كونه تعبيراً عن قوة طموح علاء الدين محمد خوارزمشاه ، الذى كان قد قضى على الغوريين (١٠٨) هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد ساعد على ذلك ضعف أزيك ، اذ سلك مسلك أخيه فى ادمان الشرب والأنهماك فى ملاذة حتى تمكن الكرج والمغول من الاستيلاء على معظم أملاكه .



ولم يقف تدهور أتابكة أذربيجان عند هذا الحد من اقتطاع أراضيها ، وخصوصاً تلك التى ببلاد الجبل والرى وهمذان وآران على يد الكرج أو الخوارزميين ، بل ظهر على المسرح عدو جديد (المغول) أجتاح المشرق بكامله . ذلك أنه حدث سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م أن وصلت جموع هذا العدو الى أذربيجان . وعندما اقتربوا من تبريز التى كان بها أزيك فانه « لم يخرج اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من أدمان الشرب ليلاً ونهاراً » وارسل اليهم الأموال والدواب والهدايا ، فلم يتعرضوا لبلادهم واتجهوا الى موقان (١٠٩) على ساحل بحر قزوين (١١٠) .

ويبدو أن المغول قنعوا مؤقتاً بما حصلوا عليه من هدايا وتحف من أزيك ، فاتجهوا صوب بلاد الكرج ، وقد انضم اليهم أحد مماليك أزيك ويسمى أقوش ، وساروا حتى وصلوا قرب تفليس بعد أن هزموا الكرج بزعامة ملكهم جورج لاشا الرابع George IV ( ٦٠٩ - ٦١٩هـ / ١٣١٢ - ١٢٢٣م ) فى نهاية سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م (١١١) .

---

(١٠٨) لمعرفة كيفية القضاء على الغوريين انظر : عبد المعطى الصياد ، المغول فى التاريخ ، ص ٦٣ - ٦٥ .

(١٠٩) موقان : ولاية عظيمة بأذربيجان بين أردبيل وتبريز، ويوجد بموقان عدد من القرى الجبلية ، انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢٥ .

(١١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ - ٢٣٦ : انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٤٧ : الذهبى ، المختار ، ص ١٠٠ : عصام عبد الرؤوف ، الدول الاسلامية المستقلة ، ص ٢٦٥ .

(١١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٩ : ابن واصل ، مفرج

ولم يتوقف المغول عند هذا الحد بل تمكنوا في سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م من الاستيلاء على مراغه ، وتابعوا سيرهم حتى وصلوا حدود العراق بعد الاستيلاء على همذان . ومن همذان سار المغول مرة ثانية الى أذربيجان واتجهوا ضوب تبريز التي كانت تحت حكم شمس الدين الطغرائي (١١٢) بعد أن هرب منها أزيك الى نخجوان . ولما عرف الأهالي بهرب أميرهم افتدوا أنفسهم بأموال كثيرة ، وتركوها وتوجهوا الى بيلقان سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م . وبعد الاستيلاء عليها وقتل معظم أهلها توجهوا الى كنج « وهي أم بلاد آران » ولكنهم عدلوا عنها بسبب معرفتهم بقوة أهلها وشدة مراسهم على الحرب وقبلوا من أهلها « المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم » (١١٣) . ونتيجة للضعف الذي أصاب حكام أذربيجان من أسرة ايلدكز فضلا عن الكرج على يد المغول ، فان الكرج لم يستكينوا لهذا الوضع بل قاموا في سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م بهجوم على آران ، وتمكنوا من دخول بيلقان التي لم يكن أهلها على استعداد لمحاربة الكرج ، فأعملوا فيهم السيف . هذا في الوقت الذي كان أزيك قابعا في تبريز « لا يتحرك في اصلاح ولا يتجه لخير بل قنع بالأكل والشرب والنساء فقبحه الله ويسر للمسلمين من يقوم بنصرهم » (١١٤) .

وعلى الرغم من هذه الأخطار المحدقة بالمسلمين من جانب المغول والكرج في الشرق والصلبيين في الشام ، فان نزاعاتهم الإقليمية العنيفة لم تنقطع . ففي سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م قام صاحب الموصل بدر الدين

---

الكروب ، ج ٤ ، ص ٥٣ ، حافظ حمدي ، الدولة الخوارزمية ، ص ٥٦ ؛ رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٤٢٦ ؛ عفاف صبره ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٥٢٧ .

(١١٢) شمس الدين الطغرائي : لم أقف له على ترجمة .  
(١١٣) العيني ، عقد الجمان ، ج ٢٥ ، ص ٤٢٤ ؛ انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ص ٣٣٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٤٨ - ٥٤ .  
(١١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٤٩ ؛ انظر : الغساني ، العسجد المسيوك ، ج ٣ ، ص ٣٩٢ ؛ عفاف صبره ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٨٥ .

لؤلؤ (١١٥) بالاستيلاء على قلعة شوش (١١٦) ، وأجبر صاحبها - عماد الدين زنكى بن نور الدين أرسلان شاه - على التوجه الى أزيك بن البهلوان لطلب النجدة منه . على أنه لم يجد منه مساعدة للعودة الى بلاده « فبقى عنده ولم يعد الى الموصل » (١١٧) . واستمرراً للضعف والخذلان الذى أصاب أزيك فانه فى سنة ١٢٢٤/٦٢١هـ ، وحينما وصل المغول الى تبريز لم يسع الى المحافظة على المسلمين الخوارزميين الذين لجأوا اليه ، بل قتل كثيراً منهم وأسر البعض وسلمهم مع جملة من الهدايا الى المغول الذين هاجموا بلاده ، فعادوا عنه « وعادوا عن بلاده نحو خراسان » (١١٨) . وأن دل هذا على شيء فانما يدل على ضعف وهوان المسلمين بعضهم على بعض . ولم يعد فى مقدور أزيك بن البهلوان الدفاع عن بلاده ، لا من المغول ولا من الكرج الذين كانوا قد استغلوا هذه الأوضاع المتردية فقاموا فى سنة ١٢٢٢/٦٢٢هـ و١٢٢٥م وتوجهوا الى كنجه الا أن أهلها تمكنوا من الدفاع عنها ، واعادوا الكرج من حيث أتوا . على أن الكرج تمادوا فى غيهم تجاه المسلمين فخرجوا مرة أخرى فى عهد الملكة روسودان Roussoudan ( ١٢٢٣ - ١٢٤٨م ) من تفليس الى بلاد أزيك بأذربيجان . ولكن المسلمين تمكنوا من هزيمة الكرج فى أحد المضائق ، وأنزلوا بهم هزيمة ساحقة (١١٩) .

- 
- (١١٥) بدر الدين لؤلؤ : الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكى ، صاحب الموصل توفى عن عمر يناهز الثمانين ، حكم الموصل ، حوالى خمسين سنة ، وقام من بعده ابنه الصالح اسماعيل وكانت وفاته سنة ١٢٥٧/٦٥٧م . انظر : ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٢٨٩ .
- (١١٦) قلعة شوش : قلعة عظيمة العلو قرب عقر الحميدية ، من أعمال الموصل ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٣٧٢ .
- (١١٧) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٤٢ ب .
- (١١٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٣٥٣ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف ، الدول الاسلامية المستقلة فى الشرق ، ص ٢٦٥ .
- (١١٩) الاصفهاني ، البستان الجامع ، ورقة ١٩٠ ب ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ . وقد ذكر العينى أن ملكة الكرج روسودان قامت بعد وفاة زوجها وتزوجت من مغيث الدين طغرل شاه ابن صاحب آرزن الروم . العينى ، عقد الجمان ، ج ٢٥ ، ص ٤٢٨ .

وعلى الرغم من أن المسلمين هزموا الكرج فى محاولتهم الأخيرة للاستيلاء على أذربيجان فإن ابن الأثير صور حالة زعماء المسلمين وما أصابهم على يد الكرج والتتار فى تلك الآونة ، وما كان عليه حالهم من الخذلان فقال : ان ملوك المسلمين لا تتعدى همة الكثير منهم بطنه وفرجه (١٢٠) .

وعلى الرغم من أن القوى المتصارعة بفارس وأذربيجان فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ، لم تحدد أيا منها يمكن أن تكون لها السيادة المطلقة على بقية القسوى فان قوة المغول كانت هى القوة التى استولت على أكبر مساحة جغرافية من فارس والعراق وأرمينية وأذربيجان . على أن قوتهم لم تتخذ لها مركزا سياسيا تنطلق منه الى بقية المراكز ، فلا هم لهم الا التخريب والتدمير ثم الرحيل ، ولما كان الخوارزميون أكبر القوى الاسلامية التى تعرضت للضربات الموجهة والمفجعة من بين جميع القوى ، فقد أفرز هذا الضغط المغولى زعامة اسلامية جديدة ممثلة فى شخصية جلال الدين منكبرتى (١٢١) ، وما بقى معه من القوات الخوارزمية المشردة . ذلك أنه ركز همه على تجميع وحدة المسلمين فى الجنوب الشرقى والجنوب الغربى من ايران بعد عودته من الهند سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ولم تأت سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م حتى أصبحت قوة جلال الدين القوة الضاربة فى فارس وأذربيجان والعراق العجمى (١٢٢) .

ولما كان جلال الدين منكبرتى يطمح فى توحيد القوى الاسلامية فانه تمكن فى سنة ٦٢٣ / ١٢٢٦م من الاستيلاء على مراغه وتبريز وكنجه بعد أن هرب الأتابك أزيك بن البهلوان تاركاً زوجته وأفراد أسرته

---

(١٢٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٣٦ .

(١٢١) جلال الدين منكبرتى : محمود علاء الدين محمد خوارزمشاه ، على يد جده زالت الدولة السلجوقية ، ولاء والده ولاية العهد بعد الغزو المغولى للدولة الخوارزمية . أنتصر على المغول فى معركة بيروان سنة ٦٢٠هـ . تمكن أحد فلاحى خلاط من قتله غيلة سنة ٦٢٨هـ . انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٣٢ .

(١٢٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٥٧ ؛ العرينى ، المغول ، ص ١٦٩ .



بتبريز . ومن تبريز نقل جلال الدين منكبرتي زوجة أزيك الى قلعة خوى  
معززة مكرمة (١٢٣) .

وفى تبريز أحسن جلال الدين منكبرتي الى سكانها ، ووعدهم بأخذ  
الثأر من الكرج الذين لم تنقطع غاراتهم على المسلمين . ولم يقف عند  
هذا الحد بل خرج الى بلادهم وانزل بهم هزيمة ساحقة، واستولى على  
عاصمتهم تفليس . ولكنه لم يقيم في بلادهم بل عاد الى تبريز حيث بلغه  
أن سكانها حاولوا التعاون مع أنصار أزيك وانتقم ممن كان وراء هذا  
التدبير ، وتزوج من زوجة أزيك بعد أن ثبت لديه طلاقها من زوجها  
السابق ، وأجبر أزيك على الاحتماء بقلعة كنجه (١٢٤) .

ولم تطل حياة أزيك بعد هذه الضربات المتلاحقة، فقد وافته منيته  
فى تلك السنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م بعد خمسة عشرة سنة أمضاها فى حكم  
أتابكية أذربيجان . وخلفه ولد له اسمه خاموس فتولى أمره مملوك لأبيه  
اسمه قراجه؛ إلا أن أمر بنى ايلدكز كان قد انفرط . وبذلك انقرضت أتابكية  
أذربيجان من بنى ايلدكز (١٢٥) .



---

(١٢٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٥٩ ؛ العرينى ، المغول ، ص ١٦٨ ؛  
براون ، تاريخ الادب فى ايران ، ص ٥٧١ . وخوى : ويقال لها مدينة حسنة على  
نهر يجرى شمالا فيصب فى نهر أرس *Arazes* وهى ذات سور عظيم وبساتين  
كثيرة بها عين ماء حار ماؤها فى الشتاء بارد فى الصيف ، ويتبع المدينة أكثر من  
ثمانين قرية . انظر : ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(١٢٤) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ،  
ص ٣٦٠ - ٣٦٧ . جاء فى كتاب معجم الانساب لزامباور ، ص ٢٤٩ أن زوجة أزيك  
هى فلانة بنت طغرل بن أرسلان السلجوقى .

(١٢٥) المولوى ، صحائف الاخبار ، ورقة ٦٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ،  
ج ٩ ، ص ٣٦٧ .

## الختامة

وبعد فان هذه دراسة متواضعة عن أتابكة أذربيجان من أسرة شمس اليدن ايلدكز التي امتد حكمها لأذربيجان وبلاد الجبل فى الفترة من ٥٤١هـ حتى ٦٢٢هـ. وقد تمكن زعماء هذه الأسرة من فرض سيطرتهم على البلاد السلجوقية وتحكموا فى أمر الدولة السلجوقية فترة زمنية . كذلك تمكن زعماء هذه الأسرة من الوقوف فى وجه الكرج الجورجان الذين كانوا يحاولون ما بين حين وآخر مد نفوذهم على بلاد الاسلا . وقد أضحت فى دراستى لهذه الامارة العلاقات الايجابية والسلبية لهذه الأسرة مع القوى السياسية وغيرها فى فارس والعراق واقليم الجزيرة وأرمينية . وكيف أن زعماء هذه الأتابكية ذهب كثير من جهودهم فى حروب اقليمية ضيقة اكتشفها نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ، مما شجع الكرج على احتلال كثير من بلاد المسلمين . وقد ادرك صلاح الدين عدم جدوى الدخول فى نزاع مع زعماء هذه الأتابكية التى قد تصرفه عن جهاد الصليبيين فى الشام .

ومما توصلت اليه فى دراسة هذا الموضوع بيان التحول فى ضعف هذه الأتابكية عقب وفاة محمد البهلوان وتمرد الرعايا والسلطين السلاجقة على خلفائه ، الأمر الذى أدى الى أن استعان هؤلاء الخلفاء بقوى خارجية كالخلافة العباسية ، والدولة الخوارزمية والكرج أحيانا . وكان لهذا التصرف من قبل بعض أفراد هذه الأسرة أثره فى ضياع هيبتهم أمام خصومهم . ثم ان الدراسة أوضحت تلك المواقف المعيبة لبعض زعماء هذه الأتابكية وانغماسهم فى الشراب واللهو وعدم الاستعداد لحماية مكاسب أسلافهم أو حتى القيام بفريضة الجهاد ضد الكرج . وكانت حصيلة هذه المواقف السلبية من زعماء هذه الأسرة أن تعرضت أملاكهم الى طغيان الكرج واستبدادهم بالاستيلاء على معظم أراضيهم . هذا فضلا عن عدم قدرة هذه الأسرة على الوقوف والتصدي للمغول ولقوة جلال الدين منكبرتى زعيم الخوارزميين فيما بعد ، وهو الذى تمكن من القضاء على هذه الأتابكية وضم الى حوزته ما كان قد بقى فى أيديهم من أملاك سنة ٦٢٢هـ ، ثم توج جهوده بالاستيلاء على تفليس من الكرج فيما بعد .

## المصادر والمراجع

### \* المخطوطات :

- الأصفهاني ( محمد بن محمد صفى الدين الملقب عماد الدين الكاتب الأصفهاني ت ٥٩٧ ق/١٢٠١م ) .  
البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان .  
صورة بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى برقم ١٠٢٨
- الفارقى ( أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق الفارقى ، ٧٥٢ هـ )  
ملخص تاريخ ميفارقين . صورة بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى برقم ١٢٦٦ .
- المولوى ( أحمد رده بن لطف الله المولوى الرومى ، ت ١١١٦ هـ )  
صحائف الأخبار فى وقائع الأعصار ، صورة بمركز البحث بجامعة أم القرى تحت الرقم ١٠٤٢ ) .

### \* المصادر المطبوعة :

- ابن الأثير ( أبو الحسن بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠ هـ )
- ١ - الكامل فى التاريخ ٩ أجزاء ، طبعة بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٢ - التاريخ الباهر - الدولة الأتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط ، القاهرة .
- ابن تغرى بردى ( جمال الدين أبو الحسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ، ط القاهرة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ابن الجوزى ( أبو الفرجة عبد الرحمن بن على بن محمد بن على ت ٥٩٧ هـ / ١٠٢١ م )

- ١ - فضائل القدس ، ط
- ٢ - المنتظم ، ج ١٠ ، ط بيروت .
- ابن حوقل : ( أبو القاسم محمد بن علي ، ت ق ٤ هـ )  
صورة الأرض ، ط القاهرة ، بدون تاريخ .
- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م )  
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط بيروت ١٩٧٥ م .
- ابن خلكان ( أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ،  
ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٤ م ) وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، ط  
بيروت ١٣٩٧ هـ .
- ابن دقماق ( ابراهيم بن محمد بن أيدير ، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م )  
الجواهر الثمين ، تحقيق د . سعيد عاشور ، ط مكة .
- ابن الساعي ( أبو طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي  
الخان ، ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م )  
الجامع المختصر ج ٩ ، تحقيق مصطفى جواد ، ط بغداد ١٣٥٣ هـ .
- ابن شداد ( بهاء الدين يوسف بن مانع ت ٦٣٢ هـ / ١١٣٤ م )  
النوادر السلطانية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة ،  
١٣٨٤ هـ ) .
- ابن شداد ( عزالدين أبي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم  
الطبي ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م )  
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج ٣ ، ق ٢ ،  
تحقيق يحيى عباره ، ط دمشق ١٩٧٨ م .
- ابن ظافر الأزدي ( جمال الدين أبي الحسن علي بن ظافر بن  
الحسين بن غازي الطبي ، ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م )  
أخبار الدول المنقطعة ، تاريخ الدولة العباسية ، تحقيق محمد  
الزهراني ، ط المدينة المنورة سنة ١٤٠٨ هـ .

- ابن العبرى ( غريغوريوس أبو الفرج بن هارون ، المعروف ، بابن العبرى ت ٦٦٠هـ/١٢٨٦م ) .  
تاريخ مختصر الدول ، ط بيروت ١٩٥٨م .
- ابن العديم ( كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م )  
زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى دهان ، ط دمشق ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .
- ابن الحنبلى ( أبو الفرج عبد الحى بن على بن محمد ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م )  
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٨ أجزاء ، ط بيروت .
- الغسانى ( الملك الأشرف الغسانى ، ت ٨٠٣هـ )  
العسجد المسبوك جزآن تحقيق ، شاکر عبد المنعم ، ط بغداد ١٣٩٥هـ
- ابن القلانسى ( أبو يعلى حمزه بن القلانسى ، ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م )  
ذيل تاريخ دمشق ، ط بيروت ١٩٠٨م .
- ابن كثير ( عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م )  
البداية والنهاية ١٢ جزء ، ط بيروت ١٩٦٦م .
- ابن واصل ( جمال الدين بن محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ/١٣٩٨م )  
مفرج الكروب ، ج ٢ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة ١٩٥٣م والجزء الرابع تحقيق حسنين محمد ربيع ، ط القاهرة ، ١٩٧٢م .
- ابن الوردى ( زين الدين عمر بن المظفر بن أبى الفوارس ، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م )  
تتمة المختصر ، تحقيق أحمد البدرأوى ، ط بيروت ١٣٨٩هـ .
- أبو شامه ( شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م )

- ١ - كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، جزآن ، ط القاهرة  
١٢٨٨ هـ .
- ٢ - ذيل الروضتين ، نشر ومراجعة السيد عزت العطار ، ط  
بيروت ١٩٧٤ م .
- أبو الفدا ( الملك المؤيد بن عماد الدين اسماعيل صاحب حماه ، ت  
٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م )  
المختصر فى أخبار البشر - ٣ أجزاء - بيروت .
- الأصفهانى ( أبو عبد الله معاد الدين محمد بن بن حامد المشهور  
بالعماد الكاتب ، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م )
- ١ - الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد صبح ، ط  
القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢ - تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح النبزارى ، ط بيروت  
١٩٧٨ م .
- النسوى ( نور الدين محمد بن أحمد بن محمد المنشى كان حياً سنة  
٦٣٩ هـ )  
سيرة جلال الدين منكبرى ، تحقيق حافظ حمدى ، ط القاهرة  
١٩٥٣ م .
- \* المراجع الحديثة :
- أحمد السعيد سليمان :  
تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جزآن ، ط  
القاهرة ١٩٦٧ م .
- بدرى محمد فهد :  
تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ط بغداد ١٣٩٣ هـ .
- براون أدورد جرانبيل :  
تاريخ الأدب فى ايران ، ترجمة ابراهيم الشواربى ، ط القاهرة  
١٣٧٣ هـ .

- حافظ حمدى :  
١ - الدولة الخوارزمية ، ط القاهرة ، بدون تاريخ .  
٢ - الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ، ط القاهرة ١٩٥٠م .
- حامد غنيم أبو سعيد :  
الجبهة الاسلامية فى عصر الحروب الصليبية ، ج ١ ، ط القاهرة ١٩٧١م .
- حسن ابراهيم حسن :  
تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٤ ، ط القاهرة ١٩٦٧م .
- حسن أحمد محمود وأحمد الشريف :  
العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ط القاهرة ، بدون تاريخ .
- حسن الباشا :  
الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، ط القاهرة ١٩٨٣م .
- حسنين ربيع :  
دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ط القاهرة ، ١٩٨٣م .
- حسين أمين :  
تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ط بغداد ، ١٣٨٥هـ .
- حسين قاسم أمين :  
البابكية أو انتفاضة الشعب الأذربيجانى ، ط بيروت ١٩٦٦م .
- حسين مؤنس :  
نور الدين محمود ، ط بيروت ١٤٠٨هـ .
- رنسيماستيفين :  
تاريخ الحروب الصليبية ، ٣ أجزاء ترجمة السيد البار العرينى ، ط بيروت ١٩٦٧م .
- زامباور :  
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ط بيروت بدون تاريخ .

- سعد محمد حذيفة الغامدى :
- ١ - أوضاع الدول الاسلامية فى الشرق الاسلامى ، ط مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ .
- ٢ - الدول الاسلامية فى الشرق الاسلامى ، ط مؤسسة الرسالة .
- سنعيد عاشور :
- الحركة الصليبية جزآن ، ط القاهرة ١٩٧٦ م .
- السيد الباز العرينى :
- المغول ، ط القاهرة بدون تاريخ .
- صابر محمد دياب :
- ١ - آرمينية ، ط القاهرة ١٩٣٨ هـ .
- ٢ - المسلمون وجهادهم ضد الروم ، ط القاهرة ١٤٠٤ هـ .
- عبد الله سعيد الغامدى :
- صلاح الدين والصليبيون ، ط بيروت ١٤٠٤ هـ .
- عبد النعيم حسنين :
- ١ - سلاجقة ايران والعراق ، ط القاهرة ، ١٣٩٠ هـ .
- ٢ - دولة السلاجقة ، ط القاهرة ١٣٩٥ هـ .
- عصام الدين عبد الرؤوف :
- ١ - بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى ، ط القاهرة ١٩٧٥ م .
- ٢ - الدول الاسلامية المستقلة ، ط بيروت ، بدون تاريخ .
- عليه الجنزورى :
- امارة الرها الصليبية ، ط القاهرة بدون تاريخ .
- على محمد الغامدى :
- بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ط بيروت ١٤٠٤ هـ .
- عفاف صبره :
- دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط القاهرة ، ١٤٠٦ هـ .